الإدارة المملوكية
وسفارة فلورنسا الأولى ٨٢٥ هـ/ ١٤٢٢م
قراءة في يوميات
فليتشي برانكاتشي
Felice Brancacci

دكتور
أشرف محمد أنس
كلية الآداب – جامعة المنصورة

حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود (العدد الثالث والثلاثون)

الإدارة المملوكية وسفارة فلورنسا الأولى ٨٢٥ هـ/ ١٤٢٢م قراءة في يوميات فليتشي برانكاتشي Felice Brancacci

أشرف محمد أنس
كلية الآداب – جامعة المنصورة- مصر.
البريد الإلكتروني: ashrafanas2002@yahoo.com

ملخص البحث: تعد العلاقات التجارية بين السلطنة المملوكية والمدن الإيطالية حجر الزاوية في نشاط مصر التجاري خلال عصر المماليك الجراكسة، سواء كانت مع البندقية أو جنوة أو بيزا وفلورنسا. ومن أهم ما يلاحظ على هذه العلاقات هو التنظيم التجاري والتبادل السلعي بين السلطنة وبينهم، وقد أمكن التعرف على ما يحكم هذه العلاقات من خلال الوثائق الرسمية الموجودة في دور الأرشيف الإيطالية، بالإضافة إلى رحلات الرحالة الإيطاليين التي وصفت العلاقة بين الجانبين، والمصادر المملوكية.

وهذه الدراسة تبحث دور رجال الإدارة المملوكية في التعامل مع السفارات الأجنبية، من خلال رواية إيطالية، وهي رواية رسمية في صيغة رحلة، كتبها أحد السفراء، يصف فيها ما مر به مع رجال الإدارة المملوكية، لكي يتحصل على ما يعتقده أنه أفضل المكاسب لمدينته فلورنسا، ورسمه لصورة الموظفين داخل الإدارة المملوكية، ودورهم المؤثر في خروج هذه الاتفاقيات وتنفيذها.

الكلمات المفتاحية: فلورنسا. المملوكية. وظائف ديوانية. برانكاتشي. كاتب السر. ناظر الخاص

حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود (العدد الثالث والثلاثون)

The Mamluk administration and the first embassy of Florence 825 AH / 1422 CE A reading in Felice Brancacci's diary

Ashraf Muhammad Anas
Faculty of Arts - Mansoura University - Egypt.
Email: ashrafanas2002@yahoo.com

Abstract: The commercial relations between the Mamluk Sultanate and the Italian cities are considered the cornerstone of Egypt's commercial activity during the era of the Circassian Mamluks, whether it was with Venice, Genoa, Pisa and Florence. Among the most important notes on these relationships is the commercial organization and commodity exchange between the Sultanate and them, and it is possible to identify what governs these relations through the official documents found in the role of the Italian archive, In addition to the Italian travelers trips that described the relationship between the two sides, and the Mamluk sources.

This study examines the role of the Mamluk administration in dealing with foreign embassies, through an Italian novel, which is an official account in the form of a trip, written by one of the ambassadors, describing what he went through with the Mamluk administration, in order to obtain what he believed to be the best gains for his city, Florence. And drawing of the image of employees within the Mamluk administration, and their influential role in the exit and implementation of these agreements.

Key words: Florence. Mamluk. Diwaniya functions. Brankachi. Secret Clerk. Your headmaster

تعد العلاقات التجارية بين السلطنة المملوكية والمدن الإيطالية حجر الزاوية في نشاط مصر التجاري خلال عصر المماليك الجراكسة، سواء كانت مع البندقية أم جنوة أم بيزا وفلورنسا. ومن أهم ما يلاحظ على هذه العلاقات التنظيم التجاري والتبادل السلعي بين السلطنة وبينهم، وقد أمكن التعرف على ما يحكم هذه العلاقات من خلال الوثائق الرسمية الموجودة –في الغالب– في دور الأرشيف الإيطالية، بالإضافة إلى رحلات الرحالة الإيطاليين الواصفة لطبيعة تلك العلاقة بين الجانبين وبعض من المصادر المملوكية.

ويمكن القول: إن تلك العلاقة يتم دراستها في اتجاه واحد، وهو كيفية معاملة التجار الإيطاليين والأجانب عامة، والتجار الإيطاليين خاصة، من قبل السلطنة المملوكية. وتتبع أهمية هذه الدراسة من خلال الحديث عن العناصر الفاعلة داخل الإدارة المملوكية لإبرام تلك الاتفاقيات، أو بالأحرى: كيف تخرج إلى النور تلك الاتفاقيات؟ وما المراحل التي مرت بها حتى تظهر في شكلها النهائي؟ وهل كل ما تم الاتفاق عليه تم تنفيذه، أم أن هناك أمورًا أخرى حدثت غيرت بعض هذه الاتفاقات؟

ولذلك؛ فإن هذه الدراسة تبحث دور رجال الإدارة المملوكية في التعامل مع السفارات الأجنبية، من خلال روايةٍ إيطالية هي أقرب ما تكون إلى الرواية الرسمية في صيغة رحلة، كتبها أحد السفراء، يصف فيها ما مر به داخل دروب الإدارة المملوكية، لكي يتحصل على ما يعتقده أنه أفضل المكاسب لمدينته فلورنسا، ورسمه لصورة الموظفين داخل الإدارة المملوكية، ودورهم المؤثر في خروج هذه الاتفاقيات وتنفيذها.

السفارة وأهدافها

بداية؛ يجب التعرف على توقيت هذه السفارة إلى مصر ومبعثها، فهذه السفارة تمت عام ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م في أوائل عهد السلطان الأشرف برسباي ٨٢٥ – ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ – ١٤٣٧م، وقد أمسكت معظم المصادر الإسلامية عن ذكر هذه السفارة عدا المؤرخ تقي الدين المقريزي الذي أشار لاستقبال

السلطان الأشرف برسباي لهذه السفارة في العشرين من رمضان عام ٨٢٥ هـ / سبتمبر ١٤٢٢م[١]. وإن أشار إلى أن هؤلاء السفراء من الفرنسيين بدلا من الفلورنسيين، أو الإفرنتيين، ولعل ذلك الخلط بسبب نسخ كاتب المخطوط، أو القرب بين الكلمتين في طريقة الكتابة والنطق[٢].

أما عن مبعث هذه السفارة من فلورنسا لمصر فهو دخول "فلورنسا" Florence طرفًا فاعلًا في تجارة البحر المتوسط وشريكا ومنافسا للمدينتين "البندقية" Venice و"جنوة" Genoa، و"كوريثة" لمدينة "بيزا" Pisa التجارية في صراعهم وعملهم التجاري. فقد غزت "فلورنسا" "بيزا" في حدود عام ١٤٠٦ م / ٨٠٩هـ[٣] ، واشترت ميناءيها "بيزا، وليفورنو" Livorno عام ١٤٢١م/ ٨٢٤هـ[٤]، وأصبحت "فلورنسا" بالتبعية من المدن الإيطالية التي تتجه في تجارتها إلى البحر المتوسط[٥] مباشرة[٦]، ونتيجةً لاتساع فلورنسا في نشاطها

(١) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٥٧. ١٩٧٣، ج٤ ق٢، ص٦١٨.

(٢) تم الرجوع إلى إحدى مخطوطات السلوك للتأكد من ذلك، ووجد أنه قد كتبت بالفعل: "الفرنسيين"، مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس، مخطوط رقم ١٧٢٧، ورقة ٣٥٩.

(3) Yousefzadeh. Mahnaz, Florence's Embassy to the Sultan of Egypt, palgrave macmillan, New York,2018.P3. Ashtor. Elyahu, Levant Trade in the Middle Ages (Princeton: Princeton University Press, 1984), P. 285.

(٤) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤، ج٣، ص١٥٧.

Yousefzadeh, op.cit,P.53

(5) Crepaldi. Daniele, Il Viaggio Di Felice Brancacci In Egitto (1422-1423) universita' degli studi di torino facolta' di lettere e filosofia anno accademico 1995-1996.P.3. Yousefzadeh, florence's embassy,p.2. Alessandro Rizzo, Three Mamluk Letters Concerning the Florentine Trade in Egypt and Syria: a New Interpretation, Mamluk Cairo,a Crossroads for Embassies Studies on Diplomacy and Diplomatics, pp. 782-797.p.782.

(٦) كانت فلورنسا قبل ذلك تعتمد في تجارتها قبل أن تقيم لها قوة بحرية تحمل تجارتها، تعتمد على البيازنة والجنويين والبنادقة. عن ذلك انظر: هايد: السابق، ص١٥٨، ٣٥٣؛

Crepaldi, op.cit, p.3.

الاقتصادي القائم على تجارة المنسوجات[١]، وقوة نظامها المصرفي، مما جعلها موطنا لأحد المصارف القوية في القرن الخامس عشر الميلادي وهو مصرف بورتيناري portinari[٢]، وقوة عملتها الفلوري التي أصبحت عملة ذهبية مع عملتها الفضية[٣]، -كل ما سبق- جعلها ترنو ببصرها إلى تمديد إمبراطوريتها الاقتصادية إلى التجارة المباشرة مع السلطنة المملوكية، التي تسيطر وسيطًا على أغلب صنوف التجارة القادمة من الشرق والمرغوبة في الغرب.

وعلى ذلك؛ كان الهدف الأول من سفارة فلورنسا إلى مصر هو تمديد الاتفاق التجاري المبرم بين بيزا ومصر دونَ انتقاص [٤]، بل ليصبح على قدم المساواة مع الاتفاق بين البندقية والسلطنة المملوكية [٥]، وما يستتبع ذلك من تعيين قنصل باسم فلورنسا، واختيار فندق لتجارها كما للبندقية وسائر الأوربيين

(١) هايد: السابق، ج٣، ص٣١٦، ٣٥٤. Ashtor،Op.cit,P.496 ؛ وعن تجارة المنسوجات بين المدن الإيطالية عامة وسلطنة المماليك. بيار مكرزل: صادرات الأقمشة الأوروبيّة إلى السّلطنة المملوكيّة إبّان القرنَين الرابع عشر والخامس عشر، Chronos,Reuvue d'Histoire de l'Universite de Balamand,N 39,2019,pp.173-191.

(٢) هايد: السابق، ج٣،ص٣٥٤؛ نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣، ص٣٤١.

(٣) ظهرت عملة فلورنسا (الفلوري) الذهبية عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢ م، وظلت مستخدمة في الشرق والغرب إلى أن قامت البندقية بضرب عملتها عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م، وكان بجانب العملة الذهبية هناك عملة فضية بالاسم نفسه. عن ذلك انظر: سمير علي الخادم: الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص١٨٧- ١٨٨.

(٤) آخر سفارة واتفاقية بين بيزا والسلطنة المملوكية كانت عام ٧٨٧هـ / ١٣٨٥م. Ashtor ،Op.cit,P.137

(٥) آخر معاهدة تجارية تمت بين البندقية وسلطنة المماليك كانت عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، ١٤١٥م، قبل أن يزيد الأشرف برسباي الامتيازات التجارية الممنوحة للبندقية عام ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م. انظر: أحمد دراج: المماليك والفرنج، القاهرة ١٩٦١، ص٣١.

المتاجرين مع السلطنة [١]. والهدف الثاني كان قبول السلطنة المملوكية للفلوري[٢] عملةً ذهبيةً كما للدوقية عملة البندقية في مصر والشام. ذلك كان هدف سفارة فلورنسا للقاهرة [٣].

ومما يجب أن يشار إليه هنا: أن هذه السفارة كانت أولَ احتكاكٍ فعلي لفلورنسا بالإدارة المملوكية [٤]، ولعل اهميتها تكمن في أنها أطلعتنا –بشكل

---

(١) عن أهمية الفندق ودوره المهم في دوران حركة التجارة بين الدول المطلة على البحر المتوسط خاصة، ودول أوروبا عامة .انظر: أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب في العالم المتوسطي، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، دار المدار الإسلامي، بنغازي ، ليبيا، ط١، ٢٠١٣.

(٢) على الرغم من وجود الفلوري في التعاملات المالية داخل سلطنة المماليك قبل الدوقية البندقي، وكان يطلق عليه الفرنتي، إلا أن الغلبة أصبحت للدوقية بعد ظهوره عام ١٢٩٤م. انظر: توفيق إسكندر: نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، مج٦، القاهرة ١٩٥٧، ص٣٨ – ٣٩، هـ٢؛ نعيم زكي: السابق، ص٣٥٩.

(٣) هايد: السابق، ج٣،ص٣٥٤– ٣٥٥؛

Yousefzadeh,op.cit,P.4. Crepaldi, op.cit, p.4

(٤) معظم الدراسات تركز في حديثها عن أول سفارة لها أهمية بين فلورنسا وسلطنة المماليك كان عام ١٤٨٥م، ولعل مرد ذلك إلى انقطاع سبل التجارة بين الجانبين والذي أعزاه المؤرخون إلى حدوث صراع في شبه الجزيرة الإيطالية مع ميلانو عام ١٤٢٤م ، هذا من جهة، والآخر هو ما قام به السلطان برسباي بحبس ومصادرة قنصل فلورنسا بالإسكندرية فرانشسكو مانيللي عام ١٤٣٤م، مما عكر صفو العلاقات مع مصر، ما لبثت أن عادت في عهد الظاهر جقمق (٨٤٢ – ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ – ١٤٥٣م)، ولكنها عادت أكثر قوة في عهد السلطان الأشرف قايتباي(٨٧٢– ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ – ١٤٩٦م). على سبيل المثال، انظر:

Depping, Georges Bernard, Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe depuis les croisades jusqu'à la fondation des colonies d'Amérique.Paris 1828,T.1.P31-32,John Wansbrough,Venice and Florence in the Mamluk Commercial Privileges, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol.28, No. 3 (1965), pp. 483-523.

كبير – على دورة عقد الاتفاقيات المختلفة داخل الإدارة المملوكية بدءًا من قدوم السفراء إلى الإسكندرية، مرورًا بمقابلة أهل الاختصاص وانتهاءً بالسلطان، ثم ترجمة ما تم الاتفاق عليه في بنود.

السفير واليوميات

أما عن اليوميات التي كُتبت عن هذه السفارة فقد كتبها أحد سفيري فلورنسا(١)، وهو السفير الفلورنسي فيليتشي برانكاتشي. وبرانكاتشي هو Felice di Michele Brancacci أحد سفيري هذه السفارة التي أرسلتها فلورنسا إلى السلطنة المملوكية، وهو تاجر في الأصل، وكان معه كارلو فيديريجي Carlo Federighi الأستاذ في القانون. وهما يمثلان الصفة الرسمية، ومعهم مجموعة من التجار لدراسة أحوال السوق ومستقبلها داخل السلطنة المملوكية في مصر والشام.(٢)

وفي البداية، يجب أن نشير إلى أن هذه اليوميات بطبيعتها تختلف عن كونها رحلة تم تدوينها بواسطة رجل رحالة جاء إلى مصر. فالرحالة الذين

---

(١) هايد: السابق، ص٣٥٥؛ Yousefzadeh, op.cit,P.2

(٢) تعد يوميات برانكاتشي، والوثائق الخاصة بتلك السفارة الموجودة بالأرشيف الخاص بمدينة فلورنسا، والتي عمل على نشرها المؤرخ الشهير أماري– هي الأساس الذي دلنا على تلك السفارة، لصمت المصادر العربية عن ذكرها. ويوميات برانكاتشي الأصلية غير موجودة، ولكن نسخها خاصة التي كتبت في القرن السابع عشر على يد كارلو ستروتزي Carlo Strozzi ، والمحفوظة في أرشيف فلورنسا، وعنها تم نشر اليوميات في القرن التاسع عشر عام ١٨٨١ م على يد دانتي كاتيلاتشي Dante Catellacci ، أصبحت هي الأساس. وقد تم دراسة اليوميات وتحقيقها في الدراستين اللتين يعتمد عليهما هذا البحث، إحداهما: نشرت اليوميات باللغة الإيطالية ضمن رسالة جامعية بجامعة تورين الإيطالية للباحث دانيال غاريبالدي عام ١٩٩٦. والأخرى: باللغة الإنجليزية للباحثة مهناز يوسف زادة عام ٢٠١٨.

Crepaldi, op.cit,p.55 – 56. Yousefzadeh, op.cit,P.43; Amari, Michele, I diplomi arabi dell'Archivio Fiorentino Firenze, Le Monnier, 1863-1866.

حضروا إلى مصر ممثلين عن دولهم قاموا بكتابة رحلاتهم فأصبحت مرجعا ومصدرا مهماً لنا، لاشتمالها على عديدٍ من الروايات والأحداث(١)، مثل: الحديث الشخصي للرحالة عن نفسه، وتنقله في رحلته واصفا طريق رحلته، وما يشاهده الرحالة خلال رحلته، أو ما يُحكى له من أهل مصر عن أحوالها التي مرت بها، أو واصفه لشوارعها ومبانيها المختلفة، وما ذكره عن عادات أهلها وتقاليدهم، وكل ما يمكن أن نقول عنه: وصف متكامل يحوي داخله ما كان حقيقياً، أو ما يمكن أن نطلق عليه: أساطير منقولة. هذا بالإضافة إلى بروتوكول استقبال السفراء الرسميين من الإسكندرية للقاهرة(٢).

أما يوميات برانكاتشي فيمكن أن نصفها بأنها: يوميات أقرب إلى الرسمية منها إلى وصف انطباعات مختلفة لدى كاتبها. ولعل ما يؤكد ذلك؛

---

(١) في القرنين الثامن والتاسع الهجري/ الرابع عشر الخامس عشر الميلادي تعددت الرحلات التي قام بها حجاج للأراضي المقدسة بفلسطين مرورا بمصر، أو كانوا مبعوثين من ملوك ودول أوروبا، سواء كانت المدن الإيطالية أم ملوك أسبانيا، بحيث قدموا صورة شخصية لتلك الرحلات، ما شاهدوه فيها، وما لفت نظرهم، متحدثين بلغة الراوي أكثر منها بلغة الموظف الإداري الذي يثبت كل ما كان في رحلته بصيغة إدارية. على سبيل المثال لهذه الرحلات: رحلة ليوناردو فريسكوبالدي Leonardo Frescobaldi، سيمونه سيغوليSimona Seguli، وطافور Tafur، وسفارة بدرو مارتير د أنجلاريا Pedro Mártir D. Angelaria عن ملكي أسبانيا فرديناند وإيزابيلا أوائل القن السادس عشر. عن هذه الرحلات انظر: ليوناردو فريسكوبالدي، سيمونه سيغولي: رحلات إلى الأراضي المقدسة، ترجمة، شيرين أيبش، تحرير: أحمد أيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات ط١، ٢٠١٠. حسن حبشي: رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢. حسين مؤنس: رحلة بدرو مارتير د أنجلاريا، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مارس – إبريل، ١٩٦٩، الجزء الأول، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٧٠، ص٤٢٩ – ٤٨٤.

(2) Mamluk Sultans Pierre Moukarzel, The European Embassies to the Court of the in Cairo, Mamluk Cairo،a Crossroads for Embassies Studies on Diplomacy and Diplomatics, pp. 685-712, p.689-691.

أنه يصف السفارة يوما بيوم، حتى إنه في بعض الأيام لم يكن يوجد ما يحكيه فنجده يذكر: إن يومه مر بدون أحداث[١]. بالإضافة إلى أنه لا يذكر أي حدث إلا ما كان مرتبطا بالسفارة من أمور. فمثلا: لا يذكر شيئا عن المدن التي رآها مثل الإسكندرية أو القاهرة، ولا عن سكانهما ولا عن مبانيهما، فلا يذكر إلا ما كان متعلقًا بسفارته فقط، وهذا ما يجعلنا نرى أنه كتب تلك اليوميات لكي تكون مرجعا له إذا ما احتاج إليها عند كتابة تقريره الرسمي لحكومة فلورنسا[٢].

ومن حسن الحظ أن تلك اليوميات رغم جفافها الوصفي إلا أنها كانت غنية بالدلالات الوظيفية في كيفية إدارة مثل هذه الأمور داخل السلطنة المملوكية. ولكن لم تخل يوميات برانكاتشي من وصف لبعض الأمور وجدها جديرة بالذكر عرضا حينما تتوقف المفاوضات، منها ما كان متعلقا بالناحية الدينية سواء على الجانب الإسلامي أو المسيحي، أو ما كان متعلقا بوصف بعض ما كان غريباً بالنسبة له، ولم يشاهده إلا في مصر. وهذه الأوصاف التي ذكرها كانت على عادة من يقومون برحلة داخل مصر، فلم يكن بها جديد، بل إنها تعدت ذلك بما يشبه التكرار.

فبالنسبة للناحية الدينية؛ تحدث فيليتشي حول يوم الجمعة[٣]، ليس من قبيل الوصف، ولكن من قبيل أن خروجه من مكان الإقامة سواء في الإسكندرية أو القاهرة، كان ممنوعا على الغرباء من الفرنجة إلا عند الغروب،

---

(١) Brancacci's Diary,p63. ؛ ابتداء من هذه الصفحة سنشير إلى الرحلة باسم: "يوميات برانكاتشي "، وسنعتمد بصورة أساسية على اليوميات المترجمة للغة الإنجليزية التي قامت بها مهناز يوسف زادة، والتي تقع في كتابها من ص٥٥ إلى ص٨٩ .

(٢) لقد كتب تقريرا رسميا مفصلاً هو وزميله في الرحلة كارلو فيديريغي Carlo Federighi بصفة رسمية، وقاما بالتوقيع عليه، وهو أقرب ما يكون تلخيصًا ليومياته التي وصلتنا، وهذا التقرير يوجد عند Amari,op.cit.pp.344- 346.

(3) Brancacci's Diary,p.73,80.

وكان من المجازفة الخروج قبل هذا الوقت(١). وتحدث عن شهر رمضان وعيد الفطر(٢)، خاصة عيد الفطر لارتباطه بتعطل سبل المفاوضة، وتسلم كتاب الاتفاقية لوجود عطلة في دواوين الدولة(٣)، ولم ينس –أيضا– أن يتحدث عن ملابس المسلمين، والفرق بينها وبين ملابس المسيحيين واليهود(٤).

أما أهم ما أشار إليه برانكاتشي من الناحية الدينية، فهو تعرضه وأعضاء السفارة للضرب في شوارع القاهرة من قبل ما وصفة " برجل الدين المبجل ". على الرغم من أن أفراد السفارة كانوا في صحبة مترجمي السلطان، وذلك اعتراضا على ركوبهم الخيل، وأنهم كمسلمين يسيرون على الأقدام(٥)، وأنه نتيجة هذا الاعتداء اعتذر له ناظر الخاص، وقام السلطان بمعاقبة ذلك الرجل بنفيه(٦).

أما ما كان متعلقا بالجانب المسيحي؛ فهو وصفه لزيارته لعدد أربع كنائس، خلال وقت انتظاره لما ستسفر عنه المفاوضات، التي وجد نفسه فيها بدون مهمة، فاستغلها في تلك الزيارة متحدثا عن تفرد تلك الكنائس ، والحديث

---

(١) ومما قيل عن سبب عدم خروج الفرنج يوم الجمعة حتى بعد صلاة المغرب: الخوف من تكرار هجوم الفرنج القبارصة على الإسكندرية مثلما حدث عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م. هايد: السابق، ج٣،ص٣٠٤؛ إبراهيم علي طراخان: مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٠، ص٢٨٣. ولقد وصف رحالة آخرون عدم خروج الأجانب وقت صلاة الجمعة. انظر على سبيل المثال: رحلة سيمونه سيغولي، ص١٢٩.

(2) Brancacci's Diary,p.77.

(3) Brancacci's Diary,p.75.

(٤) وقال عن ذلك: يرتدي السراقنة (المسلمون) غطاء رأس أبيض، بينما يرتدي اليهود اللون الأصفر، بينما يرتدي المسيحيون اللون الأزرق، بينما يرتدي قليل منهم اللون الأزرق بخطوط بيضاء. Brancacci's Diary,p.75

(5) Brancacci's Diary,p.66.

(6) Brancacci's Diary,p.69.

عن دهن البلسم [١]، وبالطبع لم ينس أن يضيف نكهة تكاد تكون واحدة عند معظم من زاروا مصر من الأوروبيين[٢]، بأن قسيسي إحدى الكنائس فرحوا بزيارتهم، وطلبوا منهم التوسط لدى السلطان لأنهم يتعرضون للاضطهاد[٣].

ومما تحدث عنه برانكاتشي؛ طريق رحلته ذهابا وإيابا إلى القاهرة من الإسكندرية، مرورا برشيد ثم فوة، واستقلاله مركبا في نهر النيل، وصولا لساحل بولاق[٤].

(١) دهن البلسم أو البلسان، ارتبط باسم المطرية التي لجأ إليها المسيح في رحلة الهروب، وكان استخراجه يمثل احتفالية يحضرها بعض أمراء المماليك مثل الخازندار. وله استخدامات طبية عديدة، وذكر ابن إياس: أن ذلك الدهن انقطع نموه في مصر عام ٩٠٥هـ / ١٤٩٩ م. انظر بالتفصيل: ابن إياس (محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٨٤، ج٣، ص٤٤٤.

(٢) على سبيل المثال لتكرار هذا الزعم، انظر: حسين مؤنس: السابق، ص٤٤١.

(٣) الكنائس التي زارها هي: الأولى: كنيسة سانتا ماريا. والثانية: سانتا بربرا. والثالثة: سانتا ماريا سكالا. ويطلق عليهم كنائس الحزام، نسبة إلى حزام السيدة مريم –عليها السلام–إلى القديس توما، والرابعة: كنيسة سان ميشيل. رحلة فريسكوبالدي، ص٨٠– ٨١.
Brancacci's Diary,p.74

(٤) كان هذا الطريق هو الطريق الرسمي للقاصدين زيارة مصر من الرحالة أو السفراء، وكان ركوب النيل من فوه مقصودًا وليس من رشيد، لأن دخول رشيد محظور على الغربيين تماما، وذلك لسببين، الأول: حتى لا يدرس الغربيون جميع ممرات نهر النيل مخافة أن يدخلوا سفنهم منه إذا أرادوا غزو مصر. الثاني: لأن ميناء رشيد هو ميناء البحرية المصرية، مخافة أن يقوم الغربيون بأي أعمال تخريبية ضد الأسطول والميناء. هايد: السابق، ج٣، ص٣٠١.

أما ما استفاض في الحديث عنه وصفًا وشرحاً، فهو رؤيته للفيل حيوانًا غريبًا لم يره من قبل[١]، حيث وصف حركاته وأفعاله وحجمه ولعبه بالماء[٢].

هذا؛ بالإضافة إلى وصفه كيفية صعوده للقلعة في الصباح الباكر بعد الفجر للقاء السلطان [٣]، ووصفه حرس السلطان، واستعراض المماليك بالسلاح حتى دخوله على السلطان، ووصف جلوسه، وتقبيلهم الأرض [٤] عدة مرات، وذلك خلال الاستقبال الرسمي. وما يسترعي الانتباه أن الكلام فيه كان قليلا [٥]، ولكن السفارة الفعلية والحديث بين السلطان والرسل كان في قاعة أخرى، تمت فيها المباحثات بينهم وبين السلطان[٦].

---

(١) يبدو أن حيوان الفيل كان موجودًا بالقاهرة بشكل لافت، لأن هناك من الرحالة من وصفوه – أيضا– في رحلاتهم. وذكر طافور على سبيل المثال: أن هناك مكانًا معروفًا يحتفظون فيه بعدد سبعة من الفيلة. انظر: فريسكوبالدي، ص٨٢؛ طافور، ص٧٢ – ٧٣.

(٢) استغرق برانكاتشي في وصف الفيل وحركاته بتوسع، ويبدو أنه قد أغرم به كثيرا.
Brancacci's Diary,p75-77.

(٣) Brancacci's Diary,67–68.؛ ولقد كانت عادة استقبال سلاطين المماليك للسفراء أو القصاد في الصباح الباكر مع شروق الشمس. رحلة بدرو مارتير د أنجلاريا، ص٤٦٥؛ سعيد عاشور: نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، بحث ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ج٣، ص ٣٥٣ – ٣٥٤.

(٤) لقد أبطل السلطان الأشرف برسباي في أول سلطنته عادة تقبيل الأرض، التي كانت بمصر لحكامها منذ عهد المعز لدين الله الفاطمي، وكان يعفى من التقبيل القضاة ورجال العلم، وأشراف الحجاز، ولكن عادت عادة تقبيل الأرض بعد ذلك بقليل، ولكن لم تكن كما كانت من قبل، فيكفي الداخل على السلطان أن ينحني راكعا وتلمس يديه الأرض بدلا من السجود الكامل. المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٠٨ – ٦٠٩.

(٥) يذكر برانكاتشي: أنهم لم يتحدثوا أكثر من اثنتي عشرة كلمة في هذه المقابلة.
Brancacci's Diary,p.68.

(٦) ذلك أنه بعد الاستقبال الرسمي، خرج السفراء بعد قيام السلطان، وانتظروا لمدة نصف ساعة، ثم تم إدخالهم في قاعة أخرى، وجدوا السلطان جالسًا فعرضوا مطالبهم باختصار، ورد عليهم السلطان: بأنه سيجيبهم بما طلبوا. Brancacci's Diary,p.68–69

موظفو الإدارة المملوكية

أما أهم ما نراه في هذه اليوميات متعلقا بموضوع البحث، فهو أنها أعطتنا صورة واضحة عن أفراد الإدارة، الذين لهم صلة بعقد المعاهدات وصياغتها وترجمتها، سواء كانوا من رجال الدولة الكبار أم صغار الموظفين. وهذا لم يتم تناوله في عديدٍ من الرحلات والسفارات الأخرى، التي كانت تركز –فقط– على النزول لميناء الإسكندرية، والعمال المرتبطين بذلك، ونائب الإسكندرية، ثم المترجمين، ومقابلة السلطان. ولم يحدثنا أحد عن مراحل تأكيد الاتفاق وعرضه على السلطان، وبالطبع رجال الدولة المرتبطين بهذه الموضوعات مثل ناظر الخاص، وكاتب السر، والدوادار الكبير، ثم ترجمة هذه الاتفاقيات(١).

وعلى ذلك؛ فمن خلال دراسة يوميات السفير برانكاتشي، بالإضافة إلى التوجيه الرسمي الذي ذكره أماري نقلا عن الوثائق الرسمية بفلورنسا (٢)، نجد أن هناك من أفراد الإدارة المملوكية من كانوا معروفين لدى الفلورنسيين، أو معروفين للتجار الإيطاليين عامة، وأن السفارة قد حضرت إلى مصر وهي تعلم الشخصيات الإدارية النافذة داخل الإدارة المملوكية، وكيفية التعامل مع أفرادها بما يسمح لهم بتحقيق أغراضهم. ولعل ذلك تحقق من خلال طريقين، الأول: من خلال الاعتماد على إرث بيزا التجاري مع المماليك (٣). والثاني:

---

(١) في الاتفاقيات التجارية التالية لسفارة فلورنسا الأولى، نلحظ ورود أسماء بعض الوظائف في الوثائق الرسمية، وإن كان الغالب عليها من يتعاملون مباشرة مع التجار، مثل رجال الجمارك، ونائب السلطنة بالإسكندرية، وناظر الخواص الشريفة بالإسكندرية. انظر: الوثيقتان الخامسة عشرة، والسادسة عشرة المنشورتان في ملاحق كتاب، نعيم زكي: طرق التجارة، ص٤٥٠، ٤٥٢.

(2) Amari,op.cit,p.331-335.

(٣) لقد تم تشكيل مجلس يسمى قناصل البحر؛ من ستة أفراد من كل من بيزا وفلورنسا، ومن خلاله يتم الإشراف ورعاية كل ما يتعلق بالأمور التجارية لبيزا وفلورنسا. انظر: هايد: السابق، ص١٥٧– ١٥٨.

Crepaldi, Il Viggio ,P.10

عن طريق تجار البندقية الذين سبقوهم في التعامل مع المماليك [١]. ثم نجد أن السفارة الفلورنسية قد استقت كثيرًا عن الأشخاص الفاعلين والمؤثرين في عقد هذه الاتفاقيات، والتي تندفع الأحداث في الغالب وفقاً لتوجهاتهم وتوصياتهم التي يوحون بها للسلطان، أيضاً من خلال قناصل البندقية وجنوة الذين التقوا بهم بالإسكندرية [٢].

وطبقا للتسلسل الزمني التي تقع فيه اليوميات؛ فإن أول موظفي الدولة الذين قابلتهم السفارة كان ناظر الخواص الشريفة بالإسكندرية [٣]، الذي كان من اختصاصات عمله النظر في أمر التجار الأجانب، وجباية الضرائب المفروضة عليهم، وكان هو المقصد من قبل حكومة فلورنسا قبل أن تبرح السفارة أرض فلورنسا[٤]. وذلك يظهر من خلال التوجيه الصادر للسفيرين بأن عليهما ملاقاة ذلك الشخص، واستشارته في أمور التعامل مع سلطات الدولة على الأقل في الإسكندرية، وحتى الوصول للسلطان، بل إن برانكاتشي وصفه بأنه: صديقٌ لجميع التجار[٥]. وهو ما يفتح المجال للتكهنات بأن الخبرات السابقة للتجار الإيطاليين –عامة– تصب في صالح الاستعانة بهذا الشخص وأن تكلفة معونته معروفة لديهم.

---

(١) يذكر هايد: أن الداعي لقيام فلورنسا بإرسال مبعوثيها، كان ذلك نابعا من تاجر وسمسار بندقي يسمى: تاديو دو دشيني. السابق، ج٣، ص٣٥٤.

(2) Brancacci's Diary,p.64.

(٣) عن طبيعة عمل ناظر الخواص الشريفة بالإسكندرية، انظر: القلقشندي (أبا العباس أحمد بن على): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩١٤–١٩١٩،ج١١، ص٤١٩؛ السحماوي (شمس الدين محمد بن محمد): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، تحقيق: أشرف محمد أنس، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠٠٩، ج١، ص٤١٣، ٤٢٦.

(4) Amari,op.cit,p.332.

(5) Brancacci's Diary,p.61.

كما تشير التكليفات الخاصة بالسفارة إلى أن أقصى ما تعلمه حكومة فلورنسا ومبعوثوها عن النظام في مصر، مستقبلي التجار في الإسكندرية، ونقصد بهم نائب السلطان بالإسكندرية، وناظر الخواص الشريفة، الذي عبروا عنه بقاضي الديوان (Cadì della Doana) [١]، وأضافوا إليه قاضيًا أخر هو قاضي القانون (Cadì della Legge). ونعتقد أن هاتين الشخصيتين الواردتين في التوجيه الرسمي للسفارة هما شخص واحد بمرادفين مختلفين، وصل إليهما باللغة العربية، لأنه إذا كان المقصود بوجود قاضي للقانون، فهو تعبير عن قاضي الإسكندرية المالكي، وهذا لم يكن له دور في استقبال السفراء، أو التعامل مع التجار [٢]، وحتى لو كانت الشخصية الثانية هي القاضي ناظر الصادر، فهو كان منوطًا به أخذ جزء من الضرائب المفروضة على التجار الفرنج، ولكنه لم يكن يتعامل معهم مباشرة [٣]. والدليل على ذلك؛ أن برانكاتشي لم يتحدث مطلقا إلا عن قاضي الديوان معبرا عنه بكنيته الوظيفية الكاملة [٤]، أو بلفظ القاضي (Cadì)[٥]. وإن كان الظن أن المقصود المقصود بقاضي القانون هذا هو نائب كاتب السر بالإسكندرية[٦]، لأن من مهامه إبلاغَ كاتبِ السر بورود القصاد، فيرسل كاتب السر من يستقدمهم من الإسكندرية[٧].

(1) Amari,op.cit,p.332.

(٢) القلقشندي: السابق، ج١١، ص ٤٠٨؛ السحماوي: السابق، ج١، ص٤٣١.

(٣) القلقشندي: السابق، ج١١، ص ٤١٦؛ السحماوي: السابق، ج١، ص٤٣١.

(4) Brancacci's Diary,p.60.

(5) Brancacci's Diary,p.61.

(٦) ومما يجعل هذا الأمر ممكنا، أن برانكاتشي قد ذكر كاتب سر الإسكندرية مما أخذوا منه بعض الهدايا والهبات. انظر: Crepaldi, op.cit،p.141.

(٧) وهو أحد كتاب الدرج، ويعبر عنه بـ:كاتم السر بالإسكندرية، وربما كتب له موقع الإنشاء بالثغر. السحماوي: السابق، ج١، ص٤٣٣.

وعلى ذلك؛ نجد أنهم تقابلوا أول الأمر مع القاضي – ناظر الخواص الشريفة بالإسكندرية –، ويبدو أن معرفتهم به لم تكن من الناحية الشخصية فقط، ولكن –كما اتضح سابقا– من الناحية الإدارية أيضا، وأن نزولهم إلى الإسكندرية وتقديمهم طلباتهم بلقاء السلطان عن طريق نائب الإسكندرية لم يكن يتم إلا من خلال ذلك الرجل. ولذلك؛ نجد في اليوميات ما يشير إلى أنهم كانوا يسيرون وفق توجيهاته ونصائحه، مع نصائح صديقهم أنطونيو منيربيتي Antonio Minerbetti، قنصل رودس في الإسكندرية(١)، بل إن برانكاتشي على علم بأنه على الرغم من مكانة نائب الإسكندرية الذي يطلق عليه لقب الإدميرال، إلا أنه من ناحية الأهمية التجارية لم يكن يمثل قوة تعرقل خطواتهم، ولذلك تعاملوا معه بخفة(٢)، مما عرقل بعض أمورهم، والتي كادت أن تجعل برنكاتشي يقرر إلغاء السفارة والسفر راجعا لرودس، لولا أن جاء أمر السلطان بالمثول بين يديه(٣).

ولعل تأثير قاضي الديوان يظهر جليا بعد أن انتهت أحداث السفارة بالقاهرة، ومقابلة السلطان والظفر بمطالبهم الثلاثة سابقة الذكر، وخاصة موضوع الفندق، فنجد برانكاتشي يتحدث عن قاضي الديوان هذا بأنه طلب أن يأخذ مقابلًا لاختيار فندق مناسب لتجارهم، وأنه ظل يماطلهم في التنفيذ حتى

(1) Brancacci's Diary,p.59.

(٢) Brancacci's Diary,p.61-62. ونائب الإسكندرية في ذلك الوقت هو أسندمر النوري الظاهري، تولى نيابة الإسكندرية في رجب ٨٢٥هـ. المقريزي: السلوك، ج٤،ق٢، ص٦١٥. ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٧١، ج١٤ تحقيق: جمال محمد محرز، فهيم محمد شلتوت، ص٢٤٩. وعن ترجمته، انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٨٤– ٢٠٠٩، ج٢، ٤٤٧، ت رقم ٤٦٨. السخاوي: الضوء، ج٢، ص٣١٢، ت رقم ٩٨٨.

(3) Brancacci's Diary,p.63.

رحيلهم عن الإسكندرية دون أن يحصلوا على فندق[١]. على الرغم من أننا نجد بند الفندق في الوثيقة الرسمية لبنود الاتفاقية التي نشرها أماري[٢].

وكان ذكر ناظر الإسكندرية ونائبها عند الرحالة والسفراء الأجانب لا خلاف عليه، ولكن هناك من رجال الإدارة المملوكية من كان له دور رئيس في عرض مطالب السفراء وإقرارها على السلطان المملوكي، ونشير هنا: أن هذه هي المرة الأولى التي يشار فيها إلى دور هؤلاء الموظفين، ونعني بهم كلًّا من: ناظر الخاص[٣]، وكاتب السر[٤]، والدودار الكبير[٥]. فهؤلاء –على الترتيب– هم أهم موظفي الإدارة المملوكية تأثيرًا في عرض بنود الاتفاقية ورفضها أو تمريرها.

وقد كانت يوميات برانكاتشي ذات دلالة لعرض هؤلاء الموظفين بترتيب أهميتهم لا بسبق مقابلتهم، حيث كان أكثرهم ذكرًا وتأثيرًا في اليوميات ناظر الخاص، وكاتب السر[٦]. **فناظر الخاص** يقع تحت يديه مينـاء

(1) Brancacci's Diary,p.81-82.
(2) Amari,op.cit,p.339.

(٣) تسمى تلك الوظيفة في المكاتبات الرسمية المملوكية باسم: "نظر الخواص الشريفة"، وهي وظيفة ظهرت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩١ – ٧٤١ هـ)، حين انحط شأن وظيفة الوزارة. انظر: السحماوي: السابق، ج١، ص٤١٧. وقد أشار إليه برنكاتشي باسم: natarchass .

(٤) وقد أشار إليه برانكاتشي باسمين، الأول: Chatibisser ، والثاني: Scrivano della Segreta.

(٥) في الترجمة الإنجليزية لليوميات، والنشر الحديث بالإيطالية لها، لم يكتب لفظ الدوادار بطريقة دالة على اللفظ، إذ كتب بالإنجليزية والإيطالية Dindar، على الرغم من أن اللفظ دال وواضح الكتابة، وهو ما يظهر في تقرير برانكاتشي بالإيطالية الوسيطة عند أمارى بهذه الكيفية Diuder . Amari,op.cit,p.345

(٦) إذا تم إحصاء عدد مقابلات رجال السفارة أو من يرسلونهم إلى مقابلتهم، نجد أنهم تقابلوا مع ناظر الخاص حوالي تسع مرات مباشرة، وتقابلوا مع كاتب السر خمس مرات، وأرسلوا إليه رسلهم خمس مرات أخرى.

الإسكندرية ودمياط وتجارة الكارم[١]، ومن أتباعة الذين لهم الكلمة العليا بالإسكندرية وميناءها وجمركها ناظر ديوان الخاص بالإسكندرية سالف الذكر، فقد تعرض برانكاتشي لناظر الخاص –وهو بدر الدين حسن بن نصر الله– [٢]، وهو أحد القلائل الذين تولوا وظيفة ناظر الخاص، وجمع بينها وبين عديد من الوظائف[٣]، بدون تركها إلا في فترات قليلة منذ عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م إلى عام ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٥م[٤] ، ولذلك تحدث عنه برانكاتشي ووصفة بأنه شخصية محترمة ودودة[٥]، وتحدث عن ابنه[٦]، بل كان لهما نصيبٌ كبيرٌ من من هدايا برانكاتشي التي وصفها في يومياته وملحق المصروفات في رحلته

(١) السحماوي: السابق، ج١، ص٤١٧.

(٢) عن ترجمته بالتفصيل انظر: ابن حجر العسقلاني: إنباء العمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٩٤–١٩٩٨، ج٤، ص٢٠٢. ابن تغري بردي: المنهل، ج٥، ص١٤١، ت رقم ٩٣٤. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢، ج٣، ص١٣٠، ت رقم ٥٠٥.

(٣) تولى بدر الدين حسن (٧٢٦– ٨٤٦ هـ/ ١٣٢٥– ١٤٤٢م) وظائف عديدة، منها: وزير الديار المصرية، ناظر الخواص الشريفة، ناظر الجيش، كاتب السر، وأستادار العالية، ومحتسب القاهرة، وكثرا ما تولى أكثر من وظيفة واحدة في الوقت نفسه، ثم تولى وظيفة كاتب السر بعد أن توفي ابنه المتولي لها في الطاعون عام ٨٤١هـ. ابن تغري بردي: المنهل، ج٥، ص١٤١.
Wiet G., Les Secrétaires de la Chancellerie en Egypte sous les Sultans Circassiens, ,Paris,1923.p.301-302.

(٤) كانت أول مرة يتولى فيها وظيفة ناظر الخاص في جمادى الأولى من عام ٨٠٦ هـ في عهد الناصر فرج بن برقوق (٨٠١ – ٨١٥ هـ / ١٣٩٨ – ١٤١٢م)، واستمر عزلة وتوليه لها طوال فترة المؤيد شيخ (٨١٥ – ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ – ١٤٢١م)، ثم الظاهر ططر(٨٢٤ هـ / ١٤٢١م)، ثم كان أخر عهده بوظيفة ناص الخاص في جمادى الأولى ٨٢٨هـ. ابن تغري بردي: المنهل، ج٥، ص١٤٣، ٢٩٠.

(5) Brancacci's Diary,p.66.

(٦) هو الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن، (٧٩٠ – ٨٤١ هـ/ ١٣٨٨ – – ١٤٣٨م)، نشأ وتزيا بزي الجند وتلقب بالإمارة، ووصل إلى درجة عالية من المكانة لدى الأشرف برسباي، حتى ولاه كتابة سر مصر. انظر: ابن تغري بردي: المنهل، ج١٠، ص٢٣، ت رقم ٢١١٤؛ Wiet, Op.Cit, P.300–301

بالتفصيل[١]، وأن أهم الأمور الفنية التي كان يتابعها مع ناظر الخاص كانت الفندق، وتمرير التعامل بالفلوري الفلورنسي في مصر بجانب الدوقية[٢].

ولا نبالغ إن قلنا: إن الوضع العام كان في يد ناظر الخاص لعوامل كثيرة، لعل من أهمها أن الشخصية النافذة الثانية في موضوع السفارة والاتفاقية كان غير مؤهل إلى التعمق في تلك التفاصيل –ونقصد به **كاتب السر** ابن الكويز[٣]– فهو في المطلق كان شخصية غير مؤهلة لتولي وظيفة خطيرة كوظيفة كاتب سر الديار المصرية[٤]، والتي كان من مهامها الرئيسة: عرض المكاتبات على السلطان، واستقبال السفراء، والاستفسار عن أغراض سفارتهم، وهناك من أتباعه من يبلغه بوجود سفارة في الإسكندرية فيبلغ بدوره المهمندار[٥] بديوان الإنشاء، الذي يرسل بدوره نائبه، لأن الرسول أو القاصد

---

(١) قام الباحث الإيطالي غاريبالدي بنشر ملحق للرحلة، وهو تفصيل دقيق لمصروفات السفارة ومنها ما أعطاه من هدايا لكل شخص بالتفصيل.Crepaldi, Il Viggio, p.137

(٢) Brancacci's Diary,p.66,71. وبذكر تعامل السلطنة المملوكية بالفلوري، فقد ظل التعامل به لمدة أربعة أعوام حتى عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م، حين قرر السلطان الأشرف برسباي، سك دينار باسمه سمي: الأشرفي، ومنع التعامل بأي دينار آخر. المقريزي: السابق، ج٤، ق٢، ص٧١٢.

(٣) هو علم الدين داود بن زين الدين عبد الرحمن، المعروف بابن الكويز، ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م، تولى نظر الجيش بدمشق في عهد الناصر فرج، ثم جاء إلى القاهرة وتولى نظر جيشها في عهد المؤيد شيخ، ثم ولاه الظاهر ططر كتابة سر مصر ٨٢٤ هـ. انظر ترجمته: المقريزى: السلوك، ج٤ق٢، ص٦٥٢. ابن حجر: إنباء الغمر، ج٣، ص٣١٣؛ ابن تغرى بردى: المنهل، ج٥، ص٢٨٩_٢٩٢ ت رقم ١٠١٦. النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٧٤–١٧٥؛ Wiet, Op.Cit, P.289–291.

(٤) وصف المقريزي بعض الأشياء التي تدل على ذلك، منها أنه كان بعيدا عن العلوم، حفظت عنه ألفاظ سخر منها الناس كثيرا. وهذا على عكس ما يجب أن تكون عليه صفات متولي كتابة السر من البلاغة وعلوم اللغة والدين. المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٦٥٢.

(٥) وظيفة المهمندار يتولاها أحد أمراء العشرات، وينقسم الاسم إلى: (مهمن) بمعنى الضيف، و (دار) ممسك، و يعني اسمه: ممسك الضيف، وهو الذي يتلقى الضيوف قصاد الملوك، وينزلهم بالأماكن اللائقة، ويستخرج لهم مرتباتهم على مقار مرسليهم، وله نائب يقوم مقامه. السحماوي: السابق، ج١، ص٤٠٠.

ليس من الملوك، حتى يحضره إلى القاهرة[١]. ومن مهام كاتب السر –أيضا– أن يعرض الرسل والقصاد على السلطان، وهو الذي يدير دفة المفاوضات، وخاصة ما يتعلق بها من أمور دبلوماسية بين السلطنة وغيرها من الدول؛ فنجد أن كاتب السر في اليوميات كان حاضرًا بوظيفته باعتبار أن الوثائق – سواء العربي منها أو الإيطالي– ستخرج من ديوان الإنشاء، ولكن ذكره وتسييره للأمور كان منوطاً بما يراه ناظر الخاص. وهذا ما يظهر جليًّا من أن برنكاتشي لم يقم بالتحدث وزيارة كاتب السر إلا بوحي من ناظر الخاص[٢]، لمعرفة ناظر الخاص أن الاتفاق النهائي سيخرج من ديوان الإنشاء، وأن موظفيه من مترجمين[٣]، ومهمندارية، ودودار كاتب السر[٤]، لهم دور كبير في ذلك.

أما رجل الإدارة الثالث الذي كان له دور في سفارة برانكاتشي فهو **الدوادار الكبير**، ومن مهام هذا الدوادار: أن يُدخل على السلطان –بتنسيق مع

(١) السحماوي: السابق، ج١، ص٣٣٩.

(٢) على سبيل المثال، انظر: Brancacci's Diary,p.72–73.

(٣) وصف السحماوي التراجمة العاملين بديوان الإنشاء، وهم في الوقت نفسه مترجمو السلطان، فقال عنهم: إنهم منذ عهد الناصر فرج أصبحوا ثلاثة نفر بعد أن كانوا اثنين، والشرط فيهم أن يكونوا مسلمين واطنين بأقوى جانب من الأمانة والمناصحة والصدق ومنع الغرض وملازمة الخدمة، ويقدم فيهم السابق بالإقامة في بلادنا بحسن السيرة. السابق، ج١، ص٣٣٩ – ٣٤٠.

(٤) هي إحدى الوظائف المهمة الإدارية داخل ديوان الإنشاء، ومعنى الدوادار: ممسك الدواة، وكان قديما يعين بأمر السلطان منفصلًا في تعيينه وفصله عن شخصية كاتب السر، ثم أصبح من الذين يعينهم كاتب السر. له عدة مهام تبلغ سبعة، تظهر أهميته للعمل داخل الديوان. عن هذه الوظيفة بالتفصيل، انظر: السحماوي: السابق، ج١، ص٣٧١ – ٣٧٤.

كاتب السر – قصاد الملوك والدول[١]، وترتيب لقاء السلطان ببروتوكلات الزيارة باعتباره من أرباب السيوف[٢]. ولعله هو الموظف الوحيد من أرباب السيوف الذي كان له دور فاعل في السفارة، ولذلك لا نجد له ذكرًا إلا في مرات قليلة، وأن دوره لم يكن غائبا عن برانكاتشي، فقدد كان أول شخصية كبيرة يلتقي بها سفراء فلورنسا في القاهرة[٣]، ولعل ذلك راجع إلى طبيعة وظيفته التي من مهامها: أنه الذي يبلغ الرسالة وعامة الأمور عن السلطان، ويقدم القصص، ويشاور على من حضر إلى سلطانه[٤]. والقائم بهذه الوظيفة وقت السفارة الأمير سودون من عبد الرحمن[٥]، وقد قابله بالطبع مرة أخرى يوم لقاء السلطان. والثالثة لمناقشة الاتفافية، وكان معه كاتب السر[٦]. والرابعة والرابعة في نهاية سفارته بالقاهرة وقدم له الشكر[٧].

أما عن الأقل مكانة في الإدارة المملوكية، والذين كان لهم دور كبير وفاعل داخل أحداث السفارة، فهم –طبقا لما ورد في يوميات برانكاتشي–:

---

(١) كانت هذه الوظيفة حتى عهد الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨ – ٧٦٢ هـ / ١٣٤٦ – ١٣٦٠م) يتولاها أمير طبلخاناه، إلى أن تولاها الأمير طغيتمر ويكتب طغاي تمر النجمي (عن ترجمته انظر: ابن تغري بردي: المنهل، ج٦، ص٤١١، ت رقم ١٢٥٢) فأصبح متوليها من الأمراء المقدمين في مصر، وله أتباع يحمل كل منهم لقب دوادار، ويبلغ عددهم عشرة. السحماوي: السابق، ج١، ص٣٩٠.

(٢) المقصود بأرباب السيوف هم أمراء المماليك على طبقاتهم المختلفة، سواء كانوا أمراء مائة أو طبلخاناه أو عشرات وخمسات. وعن ذلك، انظر: القلقشندي: السابق، ج٤، ص١٤– ١٥. السحماوي: السابق، ج١، ص٣٨٤– ٣٨٧.

(3) Brancacci's Diary,p.65.

(٤) السحماوي: السابق، ج١، ص٣٩٠.

(٥) تولى الأمير سودون من عبد الرحمن (ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧م) وظيفة الدوادارية الكبرى في عهد الأشرف برسباي من عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م إلى عام ٨٢٧ هـ/ ١٤٢٤م، ثم انتقل إلى نيابة الشام. ابن تغري بردي: المنهل، ج٦، ص١٥٢، ت رقم ١١٤٤.

(6) Brancacci's Diary,p.70.

(7) Brancacci's Diary,p.78.

التراجمة بديوان الإنشاء، وتراجمة السلطان، ودوادار كاتب السر، ودوادار نائب الإسكندرية، والمهمندار. فهؤلاء في الحقيقة بجانب ناظر الخاص بالإسكندرية طبقا لوصف برانكاتشي كادوا أن يفشلوا هدف السفارة، كما حدث من دوادار نائب الإسكندرية حينما اعترض على هدايا نائب الإسكندرية[١]، مما حدا برجال السفارة أن يقرروا الرحيل[٢].

وفي البداية نجد برانكاتشي تحدث أكثر من مرة عن المترجمين والتراجمة[٣]، وإن فصل قليلا عند الحديث عن تراجمة السلطان المباشرين، وهذا يجعلنا نفرق بين المترجمين العاديين الذين يقابلهم التجار في ميناء الإسكندرية ويتعاملون مع التجار لعقد الصفقات التجارية وما شابه[٤]. وهؤلاء لعلهم من التقى بهم برنكاتشي وصورهم بالكتل البشرية الكبيرة التي هجمت عليه[٥]، وأعتقد أن وصف ذلك الهجوم كان مبالغا فيه، فهو ليس أكثر من أن القائمين على العمل بالميناء من حمالين وقبانية وتراجمة يعرضون خدماتهم مدفوعة الأجر[٦]، فظنهم برنكاتشي كما لو كانوا معتدين عليهم لأخذ المال بشكل قسري، أو هكذا أراد أن يصورهم.

وهناك ممن يُطلق عليهم مترجمون –أيضا– مساعدو المهمندار، وهم يجب أن يكونوا متقني لغتين، وهم الذين يصحبون الرسل ويستفهمون منهم عن

(1) Brancacci's Diary,p.62.
(2) Brancacci's Diary,p.63.
(٣) عن أصناف المترجمين وحركة الترجمة في ديوان الإنشاء، انظر: سمير محمد الدروبي: حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي، مجلة مجمع اللغة العربية الإردني، مج٢٦، ع ٦٢، ٢٠٠٢، ص ص١١-٧٢.
(٤) هايد، السابق، ج٣، ص٣٢٦.
(5) Brancacci's Diary,p.60.
(٦) مثال لذكر عمال الميناء: ما ذكر في اتفاقية السلطان قايتباي عام ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م. ١٤٨٨م. نعيم زكي: السابق، ص٤٤١؛ Amari, op.cit,p338.

مقصدهم من السفارة وغيرها من الأمور، ثم يصحبونهم للقاهرة [١]، ولكن من صحب برانكاتشي وأعضاء السفارة من الإسكندرية إلى القاهرة هم من تراجمة الخدمة الشريفة[٢].

وتراجمة الخدمة الشريفة الذين رافقوهم للقاهرة، هم الذين يترجمون عنهم للسلطان، وهم الذين يترجموا الوثائق في صورتها النهائية [٣]. وهنا لا يفوتنا أن ننوه إلى أن برانكاتشي وصحبه قد صحبوا معهم مترجمًا من جزيرة رودس اسمه: لويجي Luigi [٤]. ومع مقارنة أحداث السفارة مع رحلة أخرى تمت بعد عشر سنوات –وهي رحلة طافور– فلابد أن يكون أحد المترجمين هو" صايم " الذي قابله طافور، وما دعا لذلك التفكير، أنه في وقت رحلة طافور كانت سِنُّهُ قد بلغت تسعين عاما تقريبا[٥]، ومما ذكره السحماوي عن هؤلاء التراجمة أنهم ليسوا مصريين، " والشرط فيهم أن يكونوا مسلمين واطنين بأقوى جانب من الأمانة والمناصحة والصدق ومنع الغرض وملازمة الخدمة، ويقدم فيهم السابق بالإقامة في بلادنا بحسن السيرة "[٦]. ومما ذكره طافور أن

(١) السحماوي: السابق، ج١، ص٣٣٩؛ ويذكر برانكاتشي أنهم قد تخلصوا من المهمندار هذا. وتم الاكتفاء بمترجمي السلطان، ومترجمهم الخاص. Brancacci's Diary,p.64

(٢) ذكر برانكاتشي في اليوميات أن أحد مترجمي السلطان، قد تحدث معهم في الإسكندرية، بعد أن جاءا مع قنصلي البندقية وجنوة عائدين من مقابلة السلطان بالقاهرة، وقد ذكر في الوثيقة الخاصة بالمصروفات: أن فارس صحبهم في رحلة الرجوع –أيضا– من الإسكندرية للقاهرة، واسما مترجمي السلطان: فارس Feres، وكاينو Caino، بل ذكر –أيضا– أن فارس من عائلة لوتشينو نفسها حارس منزل القصاد بالإسكندرية، وكاينو هو الوحيد الذي أشار إليه برانكاتشي في يومياته.
Brancacci's Diary,p.64,67. ؛ Crepaldi,op.cit,p.143,148,149

(٣) السحماوي: السابق، ج١، ص٣٣٩ – ٣٤٠.

(4) Crepaldi,op.cit,p.151.

(٥) رحلة طافور، ص٦٥.

(٦) السحماوي: السابق، ج١، ص٣٤٠.

المترجم إشبيلي المولد، يهودي الديانة، وذهب صغيرا إلى بيت المقدس، ثم حينما توفي أبوه أسلم[١]. وعلى ذلك؛ فالظن أنه كان كبير المترجمين للسلطان نتيجة سنه الكبيرة وطول مقامه في مصر[٢]، ولكنه ليس من المترجمين فارس وكاينو[٣] اللذان عوقبا من السلطان بالضرب، لاتهامهما بالإهمال في الحفاظ على هدايا السلطان، وحينما أثبتا براءتهما أُبعد المترجم الثالث من مهمة الترجمة للفلورنسيين[٤].

بالإضافة إلى، هؤلاء هناك **المهمندار**، وأطلق عليه برانكاتشي اسم: مستقبل السفراء[٥]، وهو من العاملين بديوان الإنشاء، تكون مهمته أن يستقبل السفراء ويسكنهم فيما يجري عليهم الرواتب المقررة للسفراء[٦]، ويجعلهم لا يغيبون عن عينيه، ويعمل على إجلائهم بعد أن يتم أمر سفارتهم. ويبدو أن برانكاتشي وزملاءه لم يروه طوال سفارتهم، إلا مرة واحدة، حينما طالب بعطيته من الهدايا[٧].

وهناك أيضا **الدوادارية** الصغار الذين ذكرهم برانكاتشي[٨] في تعداده للعطايا التي أعطاها لهم على سبيل الرشوة، وإن كانت قسرية بطلب من

---

(١) رحلة طافور، ص٦٤ – ٦٥.

(٢) وفي عام سفارة فلورنسا نفسه، كانت هناك اتفاقية قد عقدت بين البندقية والسلطان الأشرف برسباي، وتم كتابة اسم كبير المترجمين عليها باسم: Sain، وقد ترجم باسم: شاهين بالعربية. Moukarzel,op.cit,p.702–703.

(٣) وقد خصه برانكاتشي بأن أرسل إليه بعضًا من هدايا الأطعمة التي أرسلها إليهم ناظر الخاص. Brancacci's Diary,p.67

(4) Brancacci's Diary,p.71.

(5) Brancacci's Diary,p.73.

(٦) السحماوي: السابق، ج١، ص٣٣٩.

(7) Brancacci's Diary,p.73.

(٨) وهم: دوادار الدوادار الكبير، والدوادار الثاني، ودوادار كاتب السر، ودوادار نائب الإسكندرية. Brancacci's Diary,p.70

بعضهم، مثل دوادار نائب الإسكندرية[١]، الذي كاد يدخل في مشكلة مع رجال السفارة لولا تدخل ناظر الخواص بالإسكندرية، فتم حلها بما أعطاه برانكاتشي من أقمشة[٢]. كل هؤلاء كانوا يرون في مثل هذه السفارات التي تحضر لعقد اتفاقيات تجارية فرصة لأن يتحصلوا على بعض المكاسب، وخاصة أن الدولة في جميع نواحيها تدار عن طريق الرشا والبذل[٣].

مراحل عقد الاتفاق

مما أوضحته يوميات السفير التاجر برانكاتشي، أن عقد الاتفاقيات كان يمر بثلاث مراحل، وأن المفاوضات التي تعقد كانت رهنًا بموافقة أرباب الأقلام من موظفي الدولة، ونقصد بهم كلًّا من ناظر الخاص وكاتب السر، بالإضافة إلى الدوادار الكبير. وأن المراحل الثلاث تظهر –أيضاً– أدوار موظفي الدولة في إخراج الاتفاقيات المختلفة، وهذه المراحل هي:

الأولى: مرحلة تقديم السفراء لخطابات دولهم، والطلبات المراد الاتفاق عليها، ويكون المنوط باستقبال تلك الطلبات هو الدوادار[٤] من الناحية الرسمية، ويليه كاتب السر[٥].

---

(1) Brancacci's Diary,p.62.
(2) Brancacci's Diary,p.65.
(٣) عن هذا الداء الذي كان مستشرياً في الدولة المملوكية، انظر: أحمد عبد الرازق: البذل البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩. ولقد ساوى برنكاتشي بين ما كان يعطيه كهدية، أو طلب منه، أو تم التلميح له من قبل موظفي الدولة المملوكية، بكونه رشوة، بل رشوة قسرية دفعها مرغما، وقد أطلق عليها (mangeria)، وعلى الرغم من أن ما ذكره كان أقرب إلى الواقع، فإن هذا لا يمنع أنه كان يعبر عن بخل منه، وعدم اقتناع منه بما تستطيعه المجاملات من تسهيل بعض الأمور، والتي يمكن أن تدخل شكلا من أشكال الدفع الطوعي، كما تذكر مهناز ناشرة اليوميات بالإنجليزية.

Yousefzadeh,op.cit,P.8-9.
(4) Brancacci's Diary,p.65.
(5) Brancacci's Diary,p.66.

المرحلة الثانية: هي تدارس تلك الطلبات في الفترة التي ينتظر خلالها السفراء لمقابلة السلطان، بحيث يقتصر استقبال السلطان لهم على الإجراءات البروتوكولية، ثم يتلو ذلك مقابلتهم للسلطان للعرض التفصيلي، الذي من خلاله يرد عليهم السلطان بردٍّ عامٍّ[١]، لكون طلباتهم موضع دراسة.

المرحلة الثالثة: وهي الأهم، والتي من خلالها ركزت اليوميات عليها، وهي الاتفاق النهائي، والذي يتم تقييمه وإعطاء السلطان المشورة فيه من خلال ناظر الخاص وكاتب السر، ويظهر ذلك في ترددهم بالموافقة على كثير من تفاصيل الاتفاقية، وقد عبر عن ذلك برانكاتشي، حينما تحدث بالتفصيل عن تردد أنطونيو منيربتي على ديوان الإنشاء، وناظر الخاص للتحصل على وثائقهم[٢]، وبالإضافة إلى كبار الموظفين هؤلاء، نجد –أيضا– بعض أرباب الدولة ممن لم يلتقِ بهم السفراء، ونقصد بهم القضاة [٣]، الذي ظل أمر الفندق رهنا بما سيفتون به السلطان.

ويظهر –أيضا– من خلال هذه المرحلة الدور الأخطر لموظفي الطبقة الوسطى من أرباب الدولة، ونعني بهم: ناظر الخواص الشريفة بالإسكندرية، والتراجمة. فأما ناظر الإسكندرية، فيتبدى دوره في توجيه السفارة لطريقة تعاملها مع أرباب الدولة كبارها وصغارها– كما تم إيضاح ذلك سابقا،

(1) Brancacci's Diary,p.69.
(2) Brancacci's Diary,p.79-80.
(٣) كانت فلورنسا ترجو أن يقرر السلطان أن يعطيها الفندق الذي كان مخصصا لبيزا، لكن الذي حدث أنه قد أُعطي للأتراك، فاستشار السلطان القضاة الأربعة في هذا الأمر فقرروا عدم أخذ الفندق من مسلمين وإعطائه للفرنجة، وهذا هو الهدف الوحيد الذي لم تستطع السفارة تحقيقة. Brancacci's Diary,p.72,83

ومماطلته لاختيار الفندق[١] للفلورنسيين، حتى إنهم غادروا قبل الحصول عليه[٢].

أما التراجمة فيظهر دورهم الخطير والحيوي في مصاحبة السفارة، ثم الأهم ترجمتهم للاتفاقية في شكلها النهائي، وأيضا دوادار كاتب السر المنوط به إخراج الوثائق بعد كتابتها النهائية ونسخ صورة منها للبقاء داخل الديوان[٣]، وخاصة أن برانكاتشي قد ذكر أنهم من يوم ٢٤ وحتى ٢٦ من سبتمبر، ظلوا قائمين على ترجمة الاتفاق الخاص بهم، ومحاولة تضمين ما تم حذفه من بنود الاتفاق الذي كان من ثلاث نسخ، واحدة لفلورنسا والأخرى لنائب الإسكندرية والثالثة لنائب الشام، بما تم الاتفاق عليه، وقد أرجع برانكاتشي هذا التأخير بسبب المترجمين الفوريين الذين كانوا يطمعون في أموال وعطايا أكثر[٤]، حتى إنهم حين غادروا راجعين إلى الإسكندرية دخلوا في مساومة ونقاش محتدم مع المترجمين فيما يطلبونه من أموال[٥].

تلك كانت أهم النقاط التي تُظهر بوضوح دور رجال الإدارة المملوكية، في عقد الاتفاقيات التجارية بين السلطنة المملوكية والدويلات الإيطالية، والتي أمكن التعرف عليها من خلال رحلة السفير الإيطالي فيليتشي برانكاتشي .

---

(١) لقد ذكر برانكاتشي: أن القاضي قد أشار إليهم أن سعر تكلفة استرجاع الفندق ما بين الستين والسبعين دوقية، وأنهم تعجبوا من أنهم مطالبون بدفع هذا المبلغ مقابل استئجار الفندق، ثم اتفقوا على الدفع، ولعل هذا من الغرائب التي وقعت في هذه السفارة، إذ إن السلطنة المملوكية هي التي كانت تستأجر الفندق وتدفع تكلفته، بل تدفع مرتبًا لقنصل البلد بما يوازي ٢٠٠ دوقية، والمعتقد أنه كان محاولة لناظر الخواص بالإسكندرية من الانتفاع من وراء الفلورنسيين، مستغلا جهلهم بترتيب أوضاع التجار الأجانب بالإسكندرية. Brancacci's Diary,p. 81-82؛ هايد: السابق، ص٣٥٤ – ٣٥٥.

(2) Brancacci's Diary,p. 83.

(٣) السحماوي: السابق، ج١، ص٣٧١– ٣٧٢.

(4) Brancacci's Diary,p. 79.

(5) Brancacci's Diary,p. 79-80.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث، نستطيع أن نجمل أهم نتائجه في النقاط التالية:

- المصدر الأساسي الذي يعتمد عليه في هذا البحث هو يوميات سفارة فيليتشي برانكاتشي، هو أقرب ما يكون إلى سجل رسمي لرحلة هذه السفارة، وأنه كان أبعد ما يكون عن رحلة ذات انطباع شخصي عن أماكن أو أفراد، وأنه على الرغم من تضمينها لبعض الرؤى الشخصية، إلا أنها كانت متعلقة بالسفارة من الناحية الإدارية، ولا علاقة لها بالوصف الحضاري الذي نجده في عديد من الرحلات المزامنة لها أو اللاحقة، وأن ما عضد هذا الأمر أنه بمقارنة ما كتبه برانكاتشي في يومياته يكمل الغامض فيه سجله الذي كتبه متضمنا مصروفاته وهداياه منذ خرج من فلورنسا إلى أن رجع إليها.
- أهمية تلك اليوميات تكمن في أنها فتحت أمامنا الباب للتعرف على كيفية عقد الاتفاقيات ومراحلها، داخل إدارات ودواوين الدولة على مستويات درجاتها العليا والوسطى والدنيا.
- ما كان متعارف عليه في كثير من الدراسات والمقالات العلمية التي تتحدث عن السفارات المختلفة القادمة لمصر، توقفت عند وظائف بعينها مثل المترجمين، ونائب الإسكندرية وصولا للسلطان، ولم تقم بالتغلغل داخل الإدارة المملوكية ومعرفة من هم المنوط بهم تحديد أطر التعاون بين السلطنة وغيرها من الدول، مثلما تعرفنا على دور الدوادار الكبير، وناظر الخاص، كاتب السر، مرورا بناظر الإسكندرية والمترجمين.
- الأهداف التي كانت ترجو السفارة تحقيقها في مصر، من تعيين قنصل لتجارها، واتخاذ فندق لهم، واعتماد الفلوري كدينار ذهبي في التعامل داخل حدود السلطنة، لم يتحقق منها فعليا إلا الأول والثالث فقط.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية:

- **ابن إياس (محمد بن أحمد):** بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٨٤.
- **ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف):**
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٨ – ١٩٧٢.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٨٤– ٢٠٠٩.
- **ابن حجر العسقلاني:** إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة ١٩٩٤–١٩٩٨.
- **السحماوي (شمس الدين محمد بن محمد):** الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم، تحقيق: أشرف محمد أنس، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠٠٩.
- **السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن):** الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢.
- **القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على):** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩١٤–١٩١٩.
- **المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي):** السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٥٧. ١٩٧٣.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- **إبـراهيم علـي طراخـان:** مصـر فـي عصـر المماليـك الجراكسـة، مكتبـة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٠ .
- **أحمد دراج:** المماليك والفرنج، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦١.
- **أحمـد عبـد الـرازق:** البـذل والبرطلـة زمـن سـلاطين المماليـك، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩.
- **أوليفيا ريمـي كونستابل:** إسكان الغريب في العالم المتوسطي، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، دار المدار الإسلامي، بنغازي ، ليبيا، ط١، ٢٠١٣.
- **بيـار مكـرزل:** صـادرات الأقمشـة الأوروبيّـة إلـى السّلطنة المملوكيّـة إبّـان القرنَين الرابع عشر والخامس عشر،

Chronos,Reuvue d'Histoire de l'Universite de Balamand,N 39,2019,pp.173-191.

- **توفيـق إسـكندر:** نظـام المقايضـة فـي تجـارة مصـر الخارجيـة فـي العصـر الوسيط، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، مج٦، القاهرة ١٩٥٧.
- **حسن حبشي:** رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- **حسـين مـؤنس:** رحلـة بـدرو مـارتير د أنجلاريـا، أبحـاث النـدوة الدوليـة لتـاريخ القـاهرة، مـارس – إبريـل، ١٩٦٩، الجـزء الأول، دار الكتـب المصرية، القاهرة ١٩٧٠.
- **سعيد عاشور:** نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، بحث ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- **سمير علـي الخـادم:** الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

- **ليوناردو فريسكوبالدي، سيمونه سيغولي:** رحلات إلى الأراضي المقدسة، ترجمة: شيرين أيبش، تحرير أحمد أيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات ط١، ٢٠١٠.
- **نعيم زكي فهمي:** طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣.
- **هايد:** تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا، القاهرة ١٩٩٤.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Alessandro Rizzo, Three Mamluk Letters Concerning the Florentine Trade in Egypt and Syria: a New Interpretation, Mamluk Cairo,a Crossroads for Embassies Studies on Diplomacy and Diplomatics, pp. 782-797.
- Amari.Michele,I diplomi arabi dell'Archivio Fiorentino Firenze, Le Monnier, 1863-1866.
- Ashtor. Elyahu, Levant Trade in the Middle Ages (Princeton: Princeton University Press, 1984)
- Crepaldi. Daniele, Il Viaggio Di Felice Brancacci In Egitto (1422-1423) universita' degli studi di torino facolta' di lettere e filosofia anno accademico 1995-1996
- Depping, Georges Bernard, Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe depuis les croisades jusqu'à la fondation des colonies d'Amérique.Paris 1828.
- John Wansbrough,Venice and Florence in the Mamluk Commercial Privileges,Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London,1965, Vol.28, No. 3.
- Pierre Moukarzel, The European Embassies to the Court of the Mamluk Sultans in Cairo, Mamluk Cairo,a Crossroads for Embassies Studies on Diplomacy and Diplomatics, pp. 685-712.
- Wiet G., Les Secrétaires de la Chancellerie en Egypte sous les Sultans Circassiens, ,Paris,1923.